

الوثيقة

دورية تاريخية محكمة

مترجمها

مركز الوثائق التاريخية

بمبادرة البعثون

العدد الثالث عشر - السنة السابعة
نؤ القعدة ١٤٠٨ هـ - يوليو ١٩٨٨ م



اليوم برأس حافون على الساحل الصومالي، ومنه جنوبا الى مقديشيو اول بلاد الزنج^(٦٤)، ثم الى المدن الساحلية الواحدة تلو الاخرى حيث تبحر السفن الى براوة ثم تدخل مدينتى باتا ولامو وبعدها تتجه المراكب جنوبا الى مالندي ومومباسا وهي من المراكز التجارية المهمة في الساحل. وحين تبحر المراكب من مومباسا تلتزم الطريق المحاذي للساحل الافريقي الى ان تتمكن من عبور قناة زنجبار، ثم تدخل جزيرة زنجبار، وقد تزور السفن قبل زنجبار جزيرة بمبا، والى الجنوب في زنجبار تتجه المراكب الى مدينة كلوة المركز التجاري المهم^(٦٥). وقد تسير بعض المراكب من مومباسا مباشرة باتجاه الجنوب حتى تصل الى آخر قرية في بلاد الزنج وهي الباييس، وبعدها تدخل الى ارض سفالة فتمر على أهم مدنها ومنها بتهنة، وحنطمة وندمة التي هي آخر قواعد بلاد سفالة. وقد تبحر السفن من بلاد سفالة الى جزر القمر^(٦٦). كما قد تزور بعض السفن جزيرة مدغشقر أيضا.

ولعل من الضروري هنا الاستشهاد ببعض ما كتبه البلدانيون العرب وهم يصفون لنا الطريق التجاري بين الخليج وشرق افريقيا توضيحا وتأكيذا للمراحل التى تقطعها السفن فى المرحلة الثانية من رحلتها فى الخليج الى شرق افريقيا. إذ يذكر ابن خرداذبة ان عدن هى مركز لتجميع

البضائع القادمة من الخليج - ولا سيما البصرة - والقادمة من بلاد الزنج والحيشة وغيرها. وبذلك تكون هذه اول اشارة - وان كانت مقتضبة وغير مباشرة - الى ابحار السفن بين عدن وشرق افريقيا عبر طريق معلوم^(٦٧).

اما المسعودى فقد كان من المؤكد على علم بالطريق البحرى بين الخليج وشرق افريقيا وان لم يورد تفاصيله. فقد تحدث عن رحلات تجار الخليج ولا سيما عرب عمان من الازد الى بلاد الزنج، وكان هو نفسه قد أبحر عدة مرات مع السفن الخليجية من عمان الى افريقيا الشرقية، حتى وصل الى جزيرة قنبلو، فهو يقول :

«واهل المراكب من العمانيين يقطعون هذا الخليج (خليج بربرى) الى جزيرة قنبلو في بحر الزنج، وفي هذه المدينة مسلمون بين الكفار من الزنج، والعمانيون الذين ذكرنا من ارباب المراكب يزعمون ان هذا الخليج المعروف بالبربرى، وهم يعرفونه ببحر بربرى، وبلاد حفوني (حافون)، اكثر مساحة مما ذكرنا (قدرها المسعودى بطول خمسمائة ميل وعرض مائة ميل) موجه عظيم كالجبال الشواهاق... وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر من اهل عمان عرب من الازد... وينتهى هؤلاء في بحر الزنج الى جزيرة قنبلو على ما ذكرنا، والى بلاد سفالة والواق واق في اقاصي ارض الزنج والاسافل في بحرهم... وقد ركبت انا

هذا البحر من مدينة سنجار في بلاد عمان (وسنجانر قصبية بلاد عمان) مع جماعة من نواخذة السيرافيين وهم ارباب المراكب.. واخر مرة ركبت فيه سنة اربع وثلاثمائة من جزيرة قنبلو الى مدينة عمان...»^(٦٨) ويضيف المسعودي في مكان آخر واصفا قنبلو بقوله :

«أنها جزيرة عامرة فيها قوم من المسلمين الا أن لغتهم زنجية غلبوا على هذه الجزيرة... وذلك في مبدأ الدولة العباسية، ومنها الى عمان في البحر نحو من خمسمائة فرسخ على ما يقول البحريون حزرا منهم لذلك، لا عن طريق التحصيل والمساحة.»^(٦٩).

ان اهتمام المسعودي بجزيرة قنبلو يرجع الى بقاءه فيها لمدة، وهي آخر محطة وصلها في ترحاله في الشرق الافريقي، اما بلاد سفالة فلم يزرها بل أخذ اوصافها من اصحاب المراكب من عرب الخليج الذين يصلون اليها. وقد كانت جزيرة قنبلو وما تزال مجال نقاش بين الباحثين من اجل معرفتها بالضبط. ومع أن المسعودي أورد بعض التحديدات الجغرافية الخاصة بموقع هذه الجزيرة، لكنها لا تعيننا على وضع تحديد نهائي لها ولا سيما ان هناك جزرا متعددة في الساحل الافريقي الشرقي تنطبق عليها أوصاف المسعودي كلا أو جزءا.

لقد حاول ترمنكهام^(٧٠) عرض نصوص الجغرافيين العرب التي تصف جزيرة قنبلو وكل ما يتصل بها

مبتدئا بالمسعودي ثم ابن حوقل وبزرک بن شهريار والبيروني، وكذلك يورد معلومات الادريسي وياقوت وابن سعيد؛ وبعد دراسته لهذه النصوص يتوصل الى الخلاصة التالية، حيث يقول: «كما هو واضح من الخرائط الخاصة باوائل الجغرافيين وروايات الرحالة الى شرق افريقيا، فان قنبلو من الممكن ان تكون مستقرا للقادمين الاجانب على جزيرة في ذلك الساحل [ساحل افريقيا الشرقي] كأن تكون بمبا او زنجبار او مافيا، وليست مدغشقر.»^(٧١).

وهكذا نجد فيما دونه المسعودي تأكيدا واضحا على الصلة التجارية بين الخليج العربي وشرق أفريقيا. ولكن مما يستدعي الاسف أن المسعودي لم يفصل في مراحل الطريق الذي سار فيه فلم يذكر المدن والمراكز التجارية الساحلية التي اسسها العرب او التي وصلوا اليها في الشرق الافريقي منذ زمن بعيد قبل بدء المسعودي برحلاته الى تلك المنطقة، والتي كانت على ايامه محطات تجارية للسفن العربية القادمة في الخليج. ان هذه المعلومات المهمة الخاصة بالطريق التجاري الذي يربط بين الخليج وشرق افريقيا في مرحلته الثانية (اي شواطئ الشرق الافريقي) نجدها بصورة تفصيلية في مدونات البلدانين العرب الذين كتبوا بعد المسعودي، حيث يقدمون لنا وصفا للمدن الساحلية في افريقيا

الشرقية ونشاطها التجاري.
فالأدريسي يذكر مدن الساحل
الافريقي الشرقي بصورة متتالية،
فكأنما يسير على الساحل وينتقل من
مدينة الى أخرى محددا المسافات
بينها، ثم يشير الى الجزر المقابلة
للساحل مؤكدا في ذلك على النشاط
التجاري لهذه المدن والجزر. فهو بعد
أن يتكلم عن منطقة بربرة (بربرا)
ينتقل الى ارض الزنج حيث يبدأ
بوصف مدينة ملندة فيقول :

«مدينة ملندة في بلاد الزنج ثلاثة
أيام في البحر لبلياليها وملندة على ضفة
البحر على خور ماء عذب وهي مدينة
كبيرة... وعندهم معدن حديد
يحتفرونه ويعملونه وهو جل مكسبهم
وتجارتهم. ومن هذه المدينة الى ممبسه
على الساحل مسافة يومين وهي مدينة
صغيرة للزنج على البحر وعلى ضفة
خور كبير تدخله المراكب مسير يومين..
ومن ممبسه الى قرية الباييس سعة البر
ومجر أو نصف في البحر... وهي آخر
عمالة الزنج وتتصل بها أرض
سفالة» (٧٢).

ثم ينتقل بعد ذلك لوصف مناطق
سفالة فيذكر مدنها بقوله : «فمنها
(قرية الباييس) على الساحل الى مدينة
تسمى تهنته ثمانية ايام في البر ومجر
ونصف في البحر. وبلاد تهنته ايضا في
سفالة» (٧٢) كما يذكر من مدن سفالة
مدينتين حيث يقول : «حنظمة وندمة
وهي على ضفة البحر وهما صغيرتان
وأهلها في ذاتهم قلة وفي أنفسهم أذلة

التبر» (٧٤).
ان المعلومات التي أوردها
الأدريسي عن مدن الساحل الافريقي
يؤكدها ابن سعيد وابو الفدا اللذان
ينقلان عنه في الغالب. فابن سعيد وابو
الفدا يؤكدان لنا ان (خافوني) الجبل
المشهور عند المسافرين في منطقة
بربرا هو الذي تستقبله السفن بعد
خروجها من جزيرة سوقطرة (٧٥). ثم
يتكلم ابن سعيد عن مدينة مقاديشو
اول بلاد الزنج مشيرا الى كونها
«مدينة الاسلام المشهورة في ذلك
الصقع المترددة الذكر على السن
المسافرين» (٧٦). ثم يذكر ابن سعيد
مدن الزنج المشهورة مثل ملندة

عنه لمعادن وثروات عدة دخلت في التجارة العالمية المعروفة آنذاك، ومن الممكن القول أن من العوامل التي تحكمت في الاتصال بين الخليج العربي وأفريقيا الشرقية، المنتجات الإفريقية التي دفعت التجار العرب للوصول إلى سواحل أفريقيا الشرقية وممارسة نشاطاتهم التجارية في تلك المنطقة ومبادلة بضائع أفريقيا وسلعها مع البضائع التي يحملونها من الخليج والتي يرغب فيها سكان الشرق الإفريقي.

يزودنا البلدانون بصورة عامة بأسماء البضائع والسلع الداخلة في التجارة الغربية مع أفريقيا الشرقية، حيث نجد من بينها الذهب والحديد والعاج والعنبر والاختشاب والجلود وما إلى ذلك.

ويعد الذهب المادة المهمة التي كانت وما زالت أساساً لتهافت الدول في الحصول عليها من أجل دعم مركزها الاقتصادي والسياسي معاً. وقد أدرك التجار العرب - ومن بينهم تجار الخليج - أهمية شرق أفريقيا كموطن لتوفر هذا المعدن الحيوي، فعملوا كل جهدهم في الحصول عليه وحمله إلى مراكز الخلافة العربية الإسلامية. فالسعودي يعطينا صورة مهمة عن هذه المادة واندفاع العمانيين للحصول عليها فيقول أثناء حديثه عن الزنوج وسكانهم في بلاد الزنج: «وتمتد مساكنهم إلى بلاد سفالة، وهي أقاصي بلاد الزنج واليهما تقصد مراكب

وممبسه (ممبسة) وكونهما مركزين لحط السفن، ثم ينتقل إلى منطقة سفالة مشيراً إلى مدينة بتينة «وهي على ذيل جوف عظيم يدخل في البحر»، ثم يتكلم عن عمائر السفاليين... وأكثر معاشهم من الذهب والحديد ولباسهم جلود النمر». ثم ينتهي إلى مدينة ليرانة التي يقول عنها «إنها للمسلمين كمقدشو، وأهلها مجتمعون في الاقطار، وهي بلد حط واقلاع». أما مدينة دغواطة «فهي آخر مدن سفالة وآخر العمارة في البر المتصل بهذا البحر»^(٧٧).

وبذلك تكون مدينة دغواطة آخر المدن التي تصلها سفن العرب المسلمين حيث نجد بعدها بلاد الواق واق التي لم تسهم بأي نشاط تجاري عربي، حيث يقول الإدريسي في ذلك: «ويتصل بارض سفالة ارض الواق واق وبها مدينتان حقيرتان وسكانهما قليل لضيق عيشهما وتكدر رزقهما وليس بارض هؤلاء القوم شيء من الذهب ولا يخرج من عندهم تجارة ولا مراكب ولا دواب»^(٧٨).

وهكذا تصل رحلة الخليج التجارية إلى آخر بلاد سفالة لتعود بعدها محملة بمنتجات الشرق الإفريقي إلى الخليج العربي في الطريق الذي سلكته في ذهابها.

المنتجات الرئيسية المتبادلة بين الخليج وشرق أفريقيا

تكشف مدونات البلدانين العرب أهمية شرق أفريقيا كمصدر لا غنى

العمانيين والسيرافيين، وهي غاية مقاصدهم في أسافل بحر الزنج، وكذلك أقاصي بحر الزنج هو بلاد سفالة، واقاصيه بلاد الواق واق، وهي أرض كثيرة الذهب كثيرة العجائب» (٧٩).

وبعد قرنين من الزمان يؤكد لنا الادريسي أهمية هذه المنطقة كمصدر لتجارة الذهب حيث يقول : «ومدينة دغوطة آخر بلاد سفالة، وبهذه المدينة يوجد التبر مثلما يوجد في بلاد سفالة» (٨٠).

وعلى الرغم أن جميع نصوص البلدانين العرب تؤكد وجود الذهب في منطقة سفالة لا غيرها، فإن ابن بطوطة يشير الى ناحية مغايرة بقوله : «أن الذهب يجلب الى سفالة في منطقة يوفي. وان بين سفالة ويوفي في بلاد الليمين مسيرة شهر، ومن يوفي يؤتى بالتبر الى سفالة» (٨١). ولكننا للأسف الشديد لا نعرف شيئاً عن يوفي ابن بطوطة ولم يوضح هو نفسه أين تقع فهل هي منطقة تابعة لسفالة، ام أنها منطقة في داخل افريقيا الشرقية، ومنها يتم جلب الذهب الى سفالة وبهذا تكون سفالة بموجب هذا الافتراض الاخير مركز تجميع الذهب الوارد اليها من الداخل. ويفترض ترمكهام (٨٢) ان الذهب يأتي من منطقة الواق واق الى سفالة، بيد ان هذا الافتراض لا يتفق مع نص الادريسي الصريح، الذي اشرنا اليه انفاً، والذي يذكر ان منطقة الواق واق منطقة فقيرة لعدم وجود

الذهب في أراضيها وتبعاً لذلك لا نجد فيها اي تجارة بحرية او برية (٨٣).

تؤكد جميع النصوص التي بين أيدينا أن التجار العرب كانوا يحملون بضائعهم التي يرغب بها سكان منطقة الذهب (سفالة) ليأخذوا بدلها الذهب، ولنترك البلدانين العرب يصفون لنا طريقة المتاجرة بالذهب بين التجار العرب والزنوج. فياقوت يرى بانها كانت تتم كالآتي :

«والحكاية عنهم (اهل سفالة) كما حكينا عن بلاد التبر بارض جنوب المغرب انهم يجلب اليهم الامتعة ويتركها التجار ويمضون ثم يجيئون وقد تركوا ثمن كل شيء عنده، والذهب السفالي معروف عند تجار الزنج» (٨٤).

ومعنى ذلك أن الحصول على ذهب سفالة يتم بطريقة «تجارة الذهب الصامته» التي كانت متعارفة في غرب أفريقيا والتي وصفها ياقوت بصورة تفصيلية (٨٥)، ولكن من الملفت للنظر أنه لم يصف طريقة أدائها في شرق افريقيا واكتفى بالقول انها تجري بنفس الطريقة التي كانت قائمة في غرب أفريقيا.

أما العاج فقد كان من منتجات الشرق الافريقي المهمة، التي جذبت تجار الخليج للتجار مع تلك المناطق. ويبدو أن العاج كان متوفراً بكثرة في افريقيا الشرقية التي اعتبرت المصدر الرئيسي لهذه المادة في العصر الوسيط. وفي هذا يسجل لنا المسعودي الآتي :

عَرَبُ الْخَلِيجِ أَوَّلَ مَنْ عَرَفَ أَفْرِيقِيَا الشَّرْقِيَّةَ

وَأَوَّلَ مَنْ اتَّصَلَ بِسُكَّانِهَا

ويشكل الحديد مادة أساسية أخرى جذبت التجار العرب إلى أفريقيا الشرقية، التي غدت أهم مصدر لهذه المادة. ويبدو أن تجارة الحديد كانت قد شهدت ازدهارا كبيرا في القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، وليس أدل على ذلك مما ذكره الإدريسي بقوله: «وملندة على ضفة البحر... وهي مدينة كبيرة... وعندهم معدن حديد يحترفونه ويعملونه وهو جل مكسبهم وتجارتهم. ومن هذه المدينة إلى مدينة منبسة على الساحل مسافة يومين وهي مدينة صغيرة للزنج وأهلها محترفون باستخراج الحديد من معدنه».^(٩٠)

ومن المناطق التي توفر فيها الحديد وامتاز بكثرتة وجودته بلاد سفالة، حيث كانت بعض مدن هذه المنطقة (مثل جنظمة وندمة) تعتمد عليه في معيشتها وتجارتهما.^(٩١) ويستدل مما ذكره الحميري في القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي أن

«والفيلة في بلاد الزنج في غاية الكثرة، وحشية وكلها غير مستأنسة، والزنج لا تستعمل منها شيئا في حروب ولا غيرها، بل تقتلها... لأخذ انيابها، فمن ارضهم تجهز انياب الفيلة»^(٨٦). ومعظم عاج الشرق الأفريقي كان يصدر إلى الخليج العربي، وبالتحديد إلى عمان ومن عمان يعاد تصديره إلى المناطق التي تطلبه ولا سيما الهند والصين، حيث كان ملوك تلك البلدان يستخدمونه في صناعة أدوات الشطرنج والنرد. وقد امتاز عاج أفريقية بجودته وكبر حجمه على ما ذكر المسعودي^(٨٧).

وتعد مقاديشو أهم مركز في شرق أفريقيا يتزود منه التجار العرب بالعاج، ومنها يحمل إلى مختلف البلاد^(٨٨) كما كانت معظم مدن الساحل الأفريقي الشرقي - على ما يبدو - توفر العاج للتجار الذين يطلبونه حتى اعتبر في بعض المدن الزنجية أهم من الذهب^(٨٩).

واتجه التجار الى مناطق توفره في شرق افريقيا مثل مالندي ومقاديشو وغيرهما. (٩٧).

ويعدّ شرق افريقيا من المواطنين الرئيسية لكثير من الحيوانات التي لها سوق رائجة في مناطق مختلفة من اجل استخدامها لشتى الاغراض. فقد توفر في هذه المنطقة النمر والفيلة والزرافات وغيرها. والفيلة - كما اسلفنا - كانت مرغوبة للحصول على عاجها، كما استخدمت وسيلة لركوب الخلفاء والامراء في الاعياد والمناسبات. (٩٨) اما النمر الزنجية وجلودها فقد كانت معروفة لدى التجار، حيث وصفت جلودها على انها من أفضل الانواع، واستخدمت لصناعة السروج. أما الزرافات فقد حملت من بلاد الزنج الى الملوك والامراء كهدايا لغرابتها. (٩٩)

وأخيرا عرف عن الشرق الافريقي انه مركز مهم لكثير من انواع الاخشاب الثمينة والمرغوبة، كالابنوس والصندل والساج التي تنمو في غابات بلاد الزنج. والذي يبدو ان مقاديشو كانت مركزا مهما لتزويد التجار بها ولا سيما الصندل والابنوس الذي شكل مادة اساسية في تجارتها. (١٠٠) كما صدرت زنجبار خشب الابنوس (١٠١). ويبدو ان السفن العربية كانت تحمل الاخشاب من شرق افريقيا الى الخليج العربي من اجل استخدامه في بناء مدن هذه المنطقة واعداد سقوف للبيوت (١٠٢).

صناعة الحديد أصبحت من الصناعات المهمة في شرق افريقيا. (٩٢) كما اشتهر شرق افريقيا بوجود الانواع الجيدة من المواد العطرية التي نالت شهرة بين العرب. ويعدّ العنبر من اهم انواع الطيب الذي وفرته بلاد الزنج، فهو ينبت في قعر بحر الزنج كما ينبت الفطر والكمأة (٩٣).

ويبدو ان سكان شرقي افريقيا كانت لهم طرق خاصة بجمعه، واول من وصف هذه الطرق المسعودي. اذ يذكر ان لاهل السواحل التي يوجد فيها العنبر نجب يركبونها في الليل، ويسيرون بها على الساحل وفي الجزر القريبة منه حيث يتوفر فيها العنبر والذي يكون قد قذفه البحر بفعل الرياح. ويظهر ان هذه النجب كانت مدربة فما ان تحس بوجود العنبر حتى تبرك فيأخذ اصحابها ما يجدونه من العنبر. (٩٤) اما الطريقة الاخرى لجمع العنبر فتكون مع اشتداد البحر وقذفه للعنبر من قعره فتبتلعه الحوت المعروفة بالاول فتموت لحالها وتطفو على الماء. وكانت عادة الزنوج رصد هذه الحيتان، فما ان يروها حتى يرموا حبالهم وكلالبيهم لاصطيادها، ثم يستخرجون العنبر من بطونها. (٩٥).

وكان العنبر يصدر عادة الى مناطق الخليج ولا سيما العراق (٩٦) حيث ازداد طلب الخلفاء والامراء عليه كثيرا لجودة نوعه، ولهذا اصبح مادة مهمة في النشاط التجاري بين الساحل الافريقي الشرقي والخليج العربي.

فضلا عن استخداماته المعروفة
الآخري.

أما عن المواد التي كان يحملها
التجار العرب من الخليج العربي إلى
الشرق الإفريقي ليبادلوها بالمنتجات
التي ذكرناها باعتبارها الركن الثاني
الذي كان يتحكم في النشاط التجاري
بين الجانبين، فلا نجد لها أي ذكر في
كتب البلدانين العرب. ولعل العذر في
ذلك أنها كانت معروفة بالنسبة للتجار
وأصحاب المراكب في ذلك العصر.

النظم البحرية والتجارية .

إن النشاط التجاري بين الخليج
والشرق الإفريقي الذي قام على تبادل
منتجات الطرفين المتنوعة، تطلب اتباع
نظم وتقاليد بحرية وتجارية متطورة
لتنظيم هذا النشاط. فالرحلة التجارية
الطويلة بين الخليج العربي وشرق
إفريقيا اقتضت من التجار وربابنة
السفن معرفة مراحل هذا الطريق أولا
والعوامل التي تتحكم فيه والمخاطر
التي تجابه السفن التجارية ثانيا.

وسبق أن أشرنا بصورة تفصيلية
إلى مراحل هذا الطريق. أما الجانب
الثاني من الأمر فيمثل العوامل
والمخاطر التي تتحكم في الرحلة
التجارية بين الخليج وشرق إفريقيا،
وأهمها معرفة الرياح الموسمية التي
تسير بموجبها السفن التجارية سواء
في الخليج أو بحر الزنج وفي هذا يقول
المسعودي: «ولكل من يركب هذه
البحار من الناس رياح يعرفون في

أوقات تكون منها مهابها، قد علم ذلك
بالعادة وطول التجارب يتوارثون علم
ذلك قولا وعملا، ولهم فيها دلائل
وعلامات يعملون بها أبان هيجانه
وأحوال ركوده وثورانه»^(١٠٣) ثم
يتحدث عن الرياح الموسمية
واتجاهاتها وكيف أن أصحاب السفن
من أهل الخليج يعرفون أن الرياح
تهب في موسمين: ففي الشتاء تندفع
الرياح باتجاه الجنوب الغربي فتخرج
السفن من الخليج إلى شرق إفريقيا
وتستمر هكذا لمدة ستة أشهر، أما في
الصيف فتندفع الرياح باتجاه شمالي
شرقي بحيث تمكن السفن العربية من
العودة من شرق إفريقيا إلى أوطانهم في
الخليج^(١٠٤) وهكذا استطاع تجار
الخليج العربي بفضل هذه المعرفة
والمعرفة الفلكية الوصول إلى سواحل
الشرق الإفريقي بسلام.

كان من الضرورات التي يعرفها
التجار والملاحون الذين يزاولون
نشاطهم التجاري بين الخليج وشرق
إفريقيا وجود المخاطر عبر الطريق
البحري. فالسفن التجارية الخارجة
من منطقة البصرة والأتية عبر الخليج
تلاقي في طريقها المنعطفات الضيقة
والصعبة والهورات الكثيرة وكثرة
اللصوص. وقد تحدث عدد من
البلدانيين العرب عن هذه المخاطر
وكيفية التغلب عليها. فابن حوقل،
الذي ينقل عن الإصطخري، يشير في
خلال حديثه عن الخليج العربي
قائلا: وفي هذا البحر هيارات كثيرة

ومعاطف صعبة وأجوان مختلفة واشدها ما بين جنابة والبصرة فانه مكان يسمى هور جنابه وهو مكان مخوف لا يكاد تسلم منه سفينة من هيجان البحر»^(١٠٥).

وقد وضعت الحلول لمجابهة هذه المخاطر، فقد تم انشاء برج اوفنار من الخشب اطلق عليه البلدانيون اسم «الخشببات» في منطقة البصرة، وهو عبارة عن «أربع خشبات منصوبة قد بني عليها مرقب يسكنه ناظور يوقد بالليل يهتدى به، ويُعلم به المدخل الى الدجلة، واذا ضلت السفينة فيه خيف انكسارها لرقعة الماء...»^(١٠٦) واذا انحدرت السفن التجارية في مياه الخليج فعليها ان تتجنب هجمات اللصوص والقراصنة، ولذلك فان السفن كانت، في اغلب الاحيان، تحمل المقاتلين والنفاطين ردًا لهذه الهجمات^(١٠٧).

ولا تقل المخاطر التي تجابه حركة السفن التجارية في مرحلتها الثانية بين الخليج وشرق أفريقيا ونقصد بذلك رحلتها في بحر الزنج صعوبة عن المرحلة الاولى، حيث تظهر الامواج العالية والاهوال التي لا تحصى كثرة فيه. ويصف المسعودي امواج هذا البحر بأنها عظيمة كالجبال الشواهد، وان ارباب المراكب من أهل الخليج العربي، ولا سيما العمانيين، يقولون عنه «انه موج اعمى يريدون بذلك انه يرتفع كارتفاع الجبال، وينخفض كأخفض ما يكون في الاودية، لا ينكسر

موجه، ولا يظهر في ذلك زيد، كنتكسر سائر البحار، ويزعمون انه موج مجنون»^(١٠٨) ويبدو ان هذه الاهوال قد اتت على الكثير من السفن الخليجية التي ركبت بحر الزنج، وقد اكد ابن سعيد في القرن ٧ هـ/ ١٣ م هذه الاهوال والمخاطر التي تجابه السفن في بحر الزنج^(١٠٩) ولكن هذا الامر لم يثن التجار العرب عن المتاجرة مع شرق أفريقيا محاولين التغلب على صعابه بالمعرفة والتجربة الطويلة.

ومن الجدير بالملاحظة، ان الحركة التجارية بين الخليج العربي وشرق افريقيا تطلبت تأمين مناطق وقوف للسفن التجارية ومراكز لتجميع البضائع وامكن آمنة يمكن للتجار العرب اللجوء اليها في الفترة الواقعة بين موسمي الرياح الموسمية؛ وهذا ما سنحاول التطرق اليه من خلال الاشارة الى محطات الوقوف في شرق افريقيا ومن ثم ما يقابلها في الخليج العربي.

كانت جزيرة قنبلو اقدم محطة تجارية لجأ اليها تجار الخليج العربي باعتبارها مركز وقوف لهم للانطلاق الى سفالة الزنج وربما كانت مركزا لتجميع البضائع التي يراد حملها بعد ذلك الى الخليج العربي^(١١٠) حتى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي. اما بعد ذلك فقد حلت مقاديشو محلها مركزا لوقوف السفن التجارية يمكث فيها التجار العرب

فترة محددة ويمارسون نشاطهم التجاري لحين مغادرتهم للسواحل الافريقية. وربما اكتسبت هذه المدينة اهميتها باعتبارها مدينة كبيرة لاستقبال التجار في ساحل بلاد الزنج، كما أشرنا انفا. ومنذ القرن ٧ هـ/١٢م أصبحت مدينة مقاديشو مركزا ومحطة تجارية مهمة للتجار العرب، حيث يذكر ابن سعيد، نقلا عن الرحالة ابن فاطمة الذي زار هذه المدينة «انها مدينة الاسلام المشهورة في ذلك الصقع والمترددة الذكر على السن المسافرين وهي مقدشو»^(١١١). ويضيف أيضا «واهلها مجمعون في الاقطار، وهي بلد حط واقلاع»^(١١٢) وليس هناك أفضل من شهادة ابن فاطمة عن المكانة التي كانت تتمتع بها هذه المدينة في الساحل الافريقي الشرقي.

احتفظت مدينة مقاديشو بمكانتها التجارية - كما يبدو - في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي فابن بطوطة الرحالة العربي المشهور الذي زار هذه المدينة واقام فيها مدة من الزمن يشير بعد أن يصفها بأنها مدينة متناهية الكبر، فان «اهلها تجار اقوياء»، وان المراكب تصل الى مرساها باستمرار وفي مختلف الاقطار، وان حكام هذه المدينة وسكانها كانوا دائما مستعدين لاستقبال السفن التجارية وما تحمله من بضائع وسلع، ولهم في ذلك تقاليد خاصة^(١١٣).

ومن المراكز التجارية المهمة التي كانت تتوقف فيها السفن مدينة مومباسا، ويسميتها الكتاب العرب (منبسة)، ويبدو أن وقوعها على ضفة خور كبير قد سهّل دخول السفن التجارية اليها.^(١١٤) ومع اننا لا نريد أن نخوض هنا في جميع المحطات والمراكز التجارية التي تتوقف عندها السفن التجارية العربية لشراء بعض البضائع او للراحة او للتزود بما تحتاج اليه وما الى ذلك، وهي من المؤكد نفس المدن والمراكز التي وصفناها في مراحل الطريق التجاري بين الخليج وشرق افريقيا التي اشرنا اليها؛ فاننا في الوقت نفسه نشير الى آخر محطة تجارية يقصدها التجار العرب ويستقرون فيها ردا من الزمن من اجل جمع البضائع المتوفرة فيها، ونقصد بذلك منطقة سفالة بمدنها المتعددة. ولعل المسعودي كان اول من أشار الى وصول تجار الخليج، ولا سيما العمانيين، الى بلاد سفالة الواقعة في اقصى بلاد الزنج. وكان غرض التجار من قيادة مراكبهم الى تلك المنطقة هو الحصول على الذهب الذي يعد اول منتجات المنطقة واهمها فضلا عن الحديد. ويبدو ان التجار العرب كانوا يعرفون المدن السفالية التي تعد مراكز لتجميع الذهب الذي يحمل من مناجمه، واهم هذه المدن بتينه وجنظمة وبوخة وبسطة ودغواطة^(١١٥).

أما اهم المحطات والمراكز التجارية

الواقعة على الطريق التجاري الذي يربط الخليج بشرق أفريقيا في مرحلته الأولى، والتي كانت تتلقى البضائع التجارية الواردة إلى الخليج وتخزينها من أجل تصديرها إلى بلدان العالم المختلفة فنذكر منها على سبيل المثال عمان والبصرة. فقد عرفت عمان بخصوصيتها في النشاط التجاري بين الخليج وشرق أفريقيا، باعتبارها قاعدة الخليج التي تستقبل السفن القادمة إليه والذاهبة منه إلى مختلف الأقطار. وقد تكلم معظم البلدانين العرب عن نشاط عمان التجاري، باعتبارها تتمتع بموقع استراتيجي يجعلها محطة تجارية في التجارة الذاهبة والقادمة من شرق أفريقيا^(١١٦).

وكانت البصرة الواقعة في رأس الخليج العربي الشمالي من الموانئ الرئيسية المهمة في الخليج لمكانتها التجارية حيث اعتبرها اليعقوبي. مدينة الدنيا ومعدن تجارتها و«أموالها»^(١١٧). وهي على حد قول المقدسي «فرضة البر ومطرح البحر»^(١١٨) وهكذا فإن موقع البصرة الاستراتيجي قد جعلها أشبه بمجمع تسويقي تخزن فيه البضائع الواردة التي تحملها السفن من الأقطار المختلفة وفي مقدمتها شرق أفريقيا ليعاد توزيعها على المراكز التجارية التي تطلبها. وإلى جانب ذلك فإن البصرة تعد أول محطة تجارية تنطلق منها السفن الخليجية في رحلتها إلى

شرق أفريقيا لتعود محملة بالذهب والعاج والعنبر والأكشاب الثمينة. ولا بد ونحن بصدد التنظيمات الخاصة بالنشاطات التجارية بين الخليج العربي وشرق أفريقيا من الإشارة إلى أن السفن التي تنقل البضائع من شرق أفريقيا إليها كانت مراكب يمتلكها عرب الخليج وهذا ما أكدته لنا نصوص البلدانين^(١١٩) فالادريسي يشير إلى ذلك بصورة صريحة بقوله: «وليس للزنج مراكب يسافرون فيها وإنما تدخل إليهم المراكب من عمان وغيرها... فيبيعون هناك متاعهم ويشتررون متاع الزنج»^(١٢٠) وكان يقود هذه المراكب عادة ربابة عرب متخصصون بالسفر إلى شرق أفريقيا نظرا لطبيعة بحر الزنج وأهواله التي سبق الحديث عنها، أما ملكية هذه المراكب فاما أنها كانت تعود إلى تاجر هي وحمولتها^(١٢١)، أو أنها تستأجر من مالكيها ويكون عادة من ربابة السفن المشهورين في السفر بين الخليج وبلاد الزنج^(١٢٢).

ومن التنظيمات التجارية الجديدة بالذكر أن التجار العرب القادمين إلى مدن الساحل الأفريقي الشرقي يجدون فيها من المرشدين أو الوكلاء المحليين الذين يساعدونهم في إقامتهم وتصريف بضائعهم وشراء ما يريدون. ولعل ما شاهده ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي في مدينة مقاديشو خير ما يوضح لنا

ذلك، فهو يقول :

«ما ان يعلم اهل مقديشو بوصول سفينة الى ميناء مقديشو، حتى يرسلوا الصنابيق وهي القوارب الصغار اليها، وفي كل واحد منها جماعة من اهل مقديشو، يصعدون الى المراكب ومع كل واحد منهم طبق فيه الطعام يقدمه الى احد تجار السفينة القادمة، ولا يكتفي بذلك، بل يدعو الى النزول عنده، وهكذا يغادر كل تاجر في السفينة الى دار نزيله من سكان مقديشو، وتكون مهمة النزول عادة مساعدة التاجر في بيع ما عنده اولا، ثم مساعدته في شراء ما يريده ثانيا. ويخبرنا ابن بطوطة - أن هذه العادة لا تتبع مع التاجر الكثير التردد على مقديشو، بسبب معرفته بها وبأهلها، حيث تترك له حرية النزول حيث يشاء»^(١٢٣).

ويبدو أن حاكم مقديشو كان هو الآخر يهتم بشأن السفن التجارية القادمة الى مدينته، فهو الآخر كان يرسل صندوقه لدى وصول اية سفينة للسؤال عن المكان الذي قدمت منه، ومن هوربان السفينة وصاحبها، وما هي نوع البضاعة التي تحملها، ومن هم التجار القادمون فيها فاذا تم له معرفة ذلك، فانه يدعو من يستحق النزول عنده الى ضيافته.^(١٢٤) ولم يشر ابن بطوطة الى اوصاف الشخص

الذي ينال ضيافة السلطان، هل هو اغنى التجار، أم هل هو حامل البضائع التي يرغب فيها حاكم مقديشو، او انه صاحب معرفة بالسلطان او غير ذلك من الاوصاف ؟ وهكذا نجد من اعراف اهل مقديشو التجارية ما يدل على وجود تقاليد ورسوم معروفة لمن مارسوا النشاط التجاري مع شرق افريقيا.

وهكذا تعكس لنا صفحات هذا البحث صورة عن اهم ما احتوته مدونات البلدانين العرب من معلومات عن العلاقات التجارية بين الخليج العربي وشرق افريقيا. وبالرغم من أن معلوماتهم في هذا المجال كانت في كثير من الاحيان قليلة وربما ناقصة، فان ذلك لم يمنعنا من رسم صورة مناسبة لطبيعة تلك العلاقات على ضوء ما ذكره البلدانين العرب. كما ان ما أورده هؤلاء من معلومات يدل على قدم وسعة العلاقات التجارية بين الجانبين وعمقها، تلك العلاقات التي كانت ذات أثر كبير ليس فقط في نشر العقيدة الاسلامية بين سكان الشرق الافريقي، وانما في الاستقرار المؤقت او الدائم للتجار العرب في المراكز التجارية في افريقيا الشرقية، وما تبعه من تغيرات واسعة في الاوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في المنطقة.

الهوامش

- ١ - سبنسر ترمنكهام، الاسلام في شرق افريقيا، ترجمة احمد عاطف النواوي (القاهرة، ١٩٧٣) ص ٣٥.
- ٢ - ابو الحسن علي بن الحسن بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد (القاهرة ١٩٦٤)، ج ١ ص ١١٥ : انظر ايضا محمد عبد الغني سعودي، الاتصالات العربية الافريقية في العصور القديمة، في : العلاقات العربية الافريقية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم معهد البحوث والدراسات العربية (القاهرة، د.ت) ص ص ٢٤ - ٢٦.
- ٣ - جمال زكريا قاسم، استقرار العرب في ساحل شرق افريقيا، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، المجلد العاشر (١٩٦٧) ص ٢٨١.
- ٤ - خولة شاكر الدجيلي، العلاقات العربية الاسلامية مع الساحل الافريقي الشرقي حتى القرن التاسع الهجري، رسالة دكتوراة غير منشورة في جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٨٠، ص ١٤٠.
- ٥ - للتفاصيل انظر ج. س. ولكنس بنو الجلندي في عمان (عمان، ١٩٨٢) ص ٥.
- ٦ - عامر محمد الحجري، «تاريخ العلاقات العمانية الافريقية : بداية التواجد العماني في شرق افريقيا»، مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية (الدوحة، قطر، ١٩٧٦) ص ص ٧٧٦ - ٧.
- ٧ - تاريخ عمان : كشف الغمة الجامع لآخبار الامة، تحقيق عبدالمجيد حسيب القيسي (عمان، ١٩٨٠) ص ٤٢.
- ٨ - احمد حمود المعمرى، عمان وشرقي افريقيا، ترجمة محمد امين عبدالله (عمان، ١٩٧٩) ص ٤٣.
- ٩ - قاسم، استقرار العرب في ساحل شرق افريقيا، ص ٢٨٧.
- ١٠ - محمد محمد امين، تطور العلاقات العربية الافريقية في العصور الوسطى في : العلاقات العربية الافريقية، معهد البحوث والدراسات العربية (القاهرة، د.ت) ص ٤٨.

- ١١ - جمال زكريا قاسم، الاصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية (القاهرة، ١٩٧٥) ص ٦١ : انظر ايضا : A. Warner, "A Sahili History of Pate", Journal of African Society, Vol. XIV, (1913), P. 153.
- ١٢ - قاسم، استقرار العرب في ساحل شرق افريقيا، ص ص ٣١٢ - ١٤ .
- ١٣ - لقد توالى هجرات عدد من الاسر العمانية الى شرق افريقيا بحيث استطاعت السيطرة على هذا الساحل منها، اسرة اليعاربة، والاسرة المزروعية، واسرة البوسعيد. للتفاصيل انظر : نور الدين عبدالله بن حميد السالمي، تحفة الاعيان بسيرة اهل عمان (القاهرة، ١٣٤٧) ج ٢ ص ٩٨، ٢٢٠ : مبارك بن علي الهنائي، العمانيون وقلعة ممباسا (عمان، ١٩٨٠) ص ص ١٥ - ١٦ : قاسم، استقرار العرب، ص ص ٣١٤ - ٦ .
- ١٤ - ابو القاسم بن حوقل، كتاب صورة الارض (بيروت، د.ت) ص ٦٣ : قاسم الاصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية، ص ٥ : S. Trimingham, Notes on Arabic Sources of Information of East Africa in: East Africa and the Orient, ed. by H. Neville Chittick and Robert I. Rotberg, (African Publishing Company, New York, 1975), (Appendix I), P. 273.
- ١٥ - ابو القاسم عبيد الله بن عبدالله المعروف بابن خرداذبة، المسالك والممالك (ليدن، ١٨٨٩) ص ٦ .
- ١٦ - ابو زيد السيرافي، اخبار الصين والهند ضمن كتاب (في رحلات العرب)، (بيروت، ١٩٧٤) ، ص ٧٤ .
- ١٧ - المسعودي، المصدر السابق، ج ١ ص ٣١٨ : سليمان التاجر، اخبار الصين والهند ضمن كتاب (في رحلات العرب) (بيروت، ١٩٧٤) ص ٢٢ .
- ١٨ - جورج فضلو حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة واوائل العصور الوسطى، ترجمة السيد يعقوب بكر (القاهرة، ١٩٥٨)، ص ص ٢٢٩ - ٣٠ .
- ١٩ - اغناطيوس كراتشكوفسكي، تاريخ الادب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان (القاهرة، ١٩٦٣) ج ١ ص ص ١٨٣ - ٥ .
- ٢٠ - J.S. Trimingham, "The Arab Geographers and East African Coast in: East Africa and the Orient, ed. by Chittick and Rotberg (New York, 1975), PP. 129-30; Chittick," The People of the East African Coast, in: East Africa and the Orient, P. 23.

- ٢١ - المسعودي، مروج الذهب ج ١ ص ١٠٨ .
- ٢٢ - T. Lewicki, Arab external sources for the history of Africa to the South of Sahara (Waroclaw, 1969), PP. 38-9.
- ٢٣ - ابن حوقل، المصدر السابق، ص ٦٣ : كراتشكوفسكي، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٠٣ .
- ٢٤ - انظر ج. لاندن، عمان منذ ١٨٥٦ مسيرا ومصيرا، ترجمة محمد أمين عبدالله (عمان، ١٩٧٠) ص ص ١٩ - ٢٠ .
- ٢٥ - انظر ابو عبيدالله بن عبدالعزيز البكري، المسالك، والممالك، مخطوطة مصورة محفوظة في مكتبة الدراسات العليا في كلية الاداب / جامعة بغداد رقم ١٢٦٠، وهي نسخة مصورة عن نسخة مكتبة نور عثمانية في اسطنبول تحت رقم No. 3034 ج ٢ ورقة ١٨٧ ا. والحقيقة اننا اعتمدنا هذه المخطوطة لان فيها معلومات كثيرة عن شرق افريقيا لا توجد اطلاقا في كتاب البكري المنشور.
- ٢٦ - البكري، المصدر نفسه، ورقة ١٨٧ ا.
- ٢٧ - كراتشكوفسكي، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٨٧ .
- ٢٨ - ابو عبدالله محمد بن محمد الشريف الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، نسخة مصورة بالفوتستات عن نسخة البودلاين - اكسفورد، محفوظة في مكتبة المجمع العلمي العراقي رقم (١٥ - جغرافية)، ورقة ٦٠. وتمتاز هذه النسخة المخطوطة لكتاب الادريسي - حسب علمنا - بان فيها من المعلومات عن شرق افريقيا ما لم يتوافر في النسخ المنشورة الاخرى.
- ٢٩ - Lewicki, op. Cit, P.65.
- ٣٠ - الادريسي، المصدر السابق، ورقة ٥٢ .
- ٣١ - كراتشكوفسكي، المصدر السابق، ج ١ ص ص ٣٣٤ - ٥ .
- ٣٢ - ياقوت الحموي، معجم البلدان (دار صادر - دار بيروت، ١٩٥٥ - ١٩٥٩) ج ٥ ص ١٧٣ .
- ٣٣ - كراتشكوفسكي، المصدر السابق، ج ١ ص ص ٣٥٨ - ٩ .
- ٣٤ - ابو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي، كتاب الجغرافية، تحقيق اسماعيل العربي (بيروت، ١٩٧٠، ص ٦٣ (المقدمة) .
- ٣٥ - تاريخ الادب الجغرافي العربي، ج ١ ص ٤٢١ .

- ٣٦ - محمد بن عبدالله اللواتي المعروف بابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، تحقيق علي المنتصر الكتاني (بيروت، ١٩٧٩) ج ١ ص ١٦ .
- ٣٧ - ابن بطوطة، المصدر نفسه، ج ١ ص ١٨٠ - ٨٢ .
- ٣٨ - المسعودي، المصدر السابق، ج ٢ ص ٦، ١١٠، الاضطخري، المسالك والممالك، ص ١٩، ابن حوقل، المصدر السابق، ص ٤٩، البكري، المصدر السابق، ج ٢ ورقة ١٨٧ ب، ١٨٨ ا .
- ٣٩ - مروج، ج ١ ص ١٠٧ .
- ٤٠ - المصدر نفسه .
- ٤١ - ابن سعيد، المصدر السابق، ص ٨٢: انظر ايضا شمس الدين ابي عبدالله محمد بن ابي طالب الانصاري الدمشقي المعروف بشيخ الربوة، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (لايبزك، ١٩٢٣) ص ١١١ .
- ٤٢ - معجم، ج ٢ ص ١٠٦ .
- ٤٣ - ياقوت الحموي، معجم، ج ٥ ص ١٧٣: زكريا بن محمد بن محمود القزويني، اثار البلاد واخبار العباد، دار صادر، دار بيروت، ١٩٦٠، ص ٦٢ .
- ٤٤ - ياقوت، المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٢٤: المسعودي، المصدر السابق ج ٢ ص ٦ .
- ٤٥ - مروج الذهب، ج ٢ ص ٦ .
- ٤٦ - المصدر نفسه .
- ٤٧ - نزهة المشتاق، ورقة ٥٢ .
- ٤٨ - المصدر نفسه، الورقات ٥٢ - ٣ .
- ٤٩ - المصدر نفسه، ورقة ٥٣ .
- ٥٠ - شيخ الربوة، المصدر السابق، ص ١١٤ .
- ٥١ - الادريسي، المصدر السابق، ورقة ٧٠ .
- ٥٢ - المسعودي، المصدر السابق، ج ١ ص ١٠٧ .
- ٥٣ - الادريسي، المصدر السابق، ورقة ٥٢، ابن سعيد، المصدر السابق، ص ٨٣ .
- ٥٤ - ابن سعيد، المصدر السابق .
- ٥٥ - نزهة المشتاق، ورقة ٧٠ .
- ٥٦ - ابو علي احمد بن عمر بن رسته، كتاب الاعلاق النفيسة (ليدن، ابريل، ١٨٩١) ص ٨٦، ابو بكر احمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان (ليدن، ١٣٠٢) ص ١١ .

٥٧ - لندن، المصدر السابق، ص ٢١، نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب (بيروت، ١٩٦٢) ص ٢٢٤، عبدالجبار ناجي، العلاقات التجارية بين البحرين والعراق خلال العصر الوسيط، مجلة الوثيقة (البحرينية)، العدد السادس السنة الثالثة (يناير، ١٩٨٥) ص ١٠٨.

٥٨ - مروج الذهب، ج ١ ص ٣٠٨.

٥٩ - ابن حوقل، المصدر السابق، ص ٤٧، ناجي، المصدر السابق ص ١١٧ - ٨.

٦٠ - المسعودي، المصدر السابق، ج ١ ص ١١٠، ابن الفقيه - المصدر السابق، ص

١١، ابن حوقل، المصدر السابق ص ١٦، البكري، المصدر السابق، ج ١ ورقة

١١١٥، ١١٦٧.

٦١ - مروج الذهب، ج ١ ص ١١.

٦٢ - المسالك والممالك، ج ١ ورقة ٦٧.

٦٣ - ابو القاسم عبيد الله بن عبدالله المعروف بابن خرداذبة، المسالك والممالك

(لندن، ١٨٨٩) ص ٦٠ - ٦١ الادريسي، المصدر السابق، ورقة ٥٣، عماد

الدين بن محمد بن عمر المعروف بابي الفداء، تقويم البلدان، تحقيق

البارون ماك كوكيني ديسلان (باريس، ١٨٤٠) ص ١٥١ - ٥٢.

٦٤ - المسعودي، المصدر السابق ج ١ ص ١٠٧، ابن سعيد، المصدر السابق،

ص ٨١، ابن بطوطة، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٨٣.

٦٥ - سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان في امجادها البحرية،

عدد ٨ (عمان، ط ٢، ١٩٨٠) ص ٦٨ - ٧٠.

٦٦ - الادريسي، المصدر السابق، الاوراق ٥٢، ٦٠، ٧٠.

٦٧ - المسالك والممالك، ص ٦٠ - ٦١.

٦٨ - مروج الذهب، ج ١ ص ١٠٧ - ٨.

٦٩ - مروج الذهب، ج ١ ص ٩٨.

٧٠ - Trimingham, The Arab Geographers and the East African Coast, pp.

129-36.

Ibid, P. 136 - ٧١

٧٢ - نزهة المشتاق، الورقات ٥٢ - ٥٣.

٧٣ - المصدر نفسه، ورقة ٥٣.

٧٤ - المصدر نفسه ورقة ٦٠.

٧٥ - الجغرافية، ص ٨١، تقويم البلدان، ص ١٥١.

٧٦ - الجغرافية، ص ٨٢.

- ٧٧ - ابن سعيد، المصدر نفسه، ص ٨٣ - ٥، ابو الفداء المصدر السابق، ص ١٥٢.
- ٧٨ - نزهة المشتاق، ورقة ٧٠.
- ٧٩ - مروج، ج ٢ ص ٦.
- ٨٠ - نزهة المشتاق، ورقة ٧٠.
- ٨١ - رحلة ابن بطوطة، ج ١ ص ٢٨٣.
- ٨٢ - Trimmingham, The Arab Geographers, p. 20 ويبدو ان ترمكهام يبني افتراضه هذا بوجود مناجم الذهب في شرق افريقيا على اشارة ابن الفقيه الى «ذهب واق واق».
- ٨٣ - نزهة المشتاق، ورقة ٧٠.
- ٨٤ - معجم البلدان، ج ٣ ص ٢٢٤.
- ٨٥ - المصدر نفسه، ج ٢ ص ١٢ - ٣.
- ٨٦ - مروج الذهب، ج ٢ ص ٦.
- ٨٧ - المصدر نفسه، ج ٢ ص ٦، انظر ايضا البكري، المصدر السابق، ورقة ١٨٨ م.
- ٨٨ - ياقوت، المصدر السابق، ج ٥ ص ١٧٣، القزويني، المصدر السابق، ص ٦٢.
- ٨٩ - ابن بطوطة، المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٨٤.
- ٩٠ - نزهة المشتاق، ورقة ٥٢.
- ٩١ - المصدر نفسه، ورقة ٦٠، ابن سعيد، المصدر السابق، ص ٨٣.
- ٩٢ - محمد عبدالمنعم الحميري، كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس (بيروت، ١٩٧٥) ص ٥٥٢ - ٥٥٤.
- ٩٣ - المسعودي، المصدر السابق، ج ١ ص ١٥١، ابن خردادبة، المصدر السابق، ص ٦١، البكري، المصدر السابق، ج ١ ورقة ١١٥ م.
- ٩٤ - مروج الذهب، ج ١ ص ١٥٠.
- ٩٥ - المصدر نفسه، ج ١ ص ١٥٠ - ١، انظر ايضا البكري، المصدر السابق، ج ١ ورقة ١١٥ م.
- ٩٦ - المسعودي، المصدر السابق، ج ١ ص ١٥١، البكري، المصدر السابق ج ١ ورقة ١١٥ م.
- ٩٧ - ياقوت، ج ٥ ص ١٧٣، القزويني المصدر السابق ص ٦٢.
- ٩٨ - المسعودي، المصدر السابق، ج ٢ ص ١٢.
- ٩٩ - المصدر نفسه، ج ٢ ص ٤، البكري، المصدر السابق، ج ١ ورقة ١١٨٨.
- ١٠٠ - ياقوت، المصدر السابق، ج ٥ ص ١٧٣، القزويني، المصدر السابق، ص ٤٤.
- ١٠١ - شيخ الربوة، المصدر السابق ص ١٦٢.

- ١٠٢- ياقوت المصدر السابق، ج ٥ ص ١٩٣، ابو الفداء، المصدر السابق، ص ٣٢٧.
- ١٠٣- مروج، ج ١ ص ١١٢.
- ١٠٤- المصدر نفسه، ج ١ ص ١١٥ - ٦.
- ١٠٥- صورة الارض، ص ٥٢.
- ١٠٦- المصدر نفسه، ص ٥٢، المقدسي البشاري، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (البيد، ١٩٠٦) ص ١٢، المسعودي، المصدر السابق ج ١ ص ١٤٩.
- ١٠٧- المقدسي، المصدر السابق، ص ١٢، الادريسي، المصدر السابق ورقة ٥٥.
- ١٠٨- مروج الذهب، ج ١ ص ١٠٧.
- ١٠٩- الجغرافية، ص ٨١ - ٤.
- ١١٠- المسعودي، المصدر السابق، ج ١ ص ٩٨، ١٠٧ - ٨.
- ١١١- الجغرافية، ص ٨١.
- ١١٢- المصدر نفسه، ص ٨٤.
- ١١٣- رحلة ابن بطوطة، ج ١ من ص ٢٧٩ - ٨٠، انظر ايضا شيخ الربوة، المصدر السابق، ص ٢٦٩.
- ١١٤- الادريسي، المصدر السابق، ورقة ٥٢، ابن بطوطة، الرحلة، ج ١ ص ٢٨٣.
- ١١٥- المسعودي، المصدر السابق، ج ١ ص ١٧، الادريسي، المصدر السابق، ورقة ٥٢، ابن سعيد، المصدر السابق، ص ٨٣، ابن بطوطة، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٨٣.
- ١١٦- المسعودي، المصدر السابق، ج ٢ من ص ٦ - ٧، ابن حوقل، المصدر السابق، ص ٥٤ - ٥، المقدسي، المصدر السابق، ص ٩٢، البكري، المصدر السابق، ج ١ ورقة ١٨٧ أ ب، الادريسي المصدر السابق، ورقة ٥٥، ابن بطوطة، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٨٥.
- ١١٧- البلدان، ص ٣٢٣.
- ١١٨- احسن التقاسيم، ص ١٢٨.
- ١١٩- المسعودي، المصدر السابق، ج ١ ص ١٠٧، الادريسي، المصدر السابق، ورقة ٥٣.
- ١٢٠- نزهة المشتاق، ورقة ٥٣.
- ١٢١- ابن بطوطة، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٦٧.
- ١٢٢- المسعودي، المصدر السابق، ج ١ ص ١٠٨.
- ١٢٣- الرحلة، ج ١ ص ٢٧٩.
- ١٢٤- المصدر نفسه، ج ١ ص ٢٨٠.

able through the generous patronage extended by members of the Al Khalifa family

through their dedication to public welfare.

extent been emulated in modernising Bahrain and her public institutions. In this he has been ably helped by his wise counsellor and adviser.

The present ruler His Highness Sir Sulman bin Hamed Al Khalifa succeeded his father in the year 1941. He too is a keen sportsman and likes hunting with falcons but he rarely finds leisure to indulge in these games from his other responsible interests of the State. Horse racing is a new feature in the field of sports but these meetings are held about twice in the year and I believe collections are solely devoted to the benefit of tuberculosis patients receiving treatment abroad. Sports meetings are held each year by educational authorities and police departments in the presence of the ruler and many distinguished guests. Lucky winners received prizes and presents from the Ruler. Peace and progress is seen everywhere, not only in administration but also in business undertakings both private and public. Even

though the elder statesmen show a conservative outlook in day-to-day life the younger generation is showing an awareness of national consciousness from what they see and hear outside their homeland, and intend to emulate the example of other sister Arab countries despite the moderation advised by their elders.

MY TRIBUTE AND EARNEST PRAYER

In concluding these memoirs, I think I should fail in my duty if I do not pay my tribute to Bahrain and her people — Bahrain which has been a foster mother to me for over three decades, and to her people for their hospitable cooperation and goodwill. My gratitude is also due to the Al Khalifa family who have always shown a considerate attitude and appreciation of my work. My life and work in Bahrain during all these years was mainly made possible and comfort-

sons and thousands of Bedouins. The camp site near about Kuwait, called Gosooma looked like a city of beautiful tents with flags and buntings and of all the three Arab rulers, the late Shaikh Ahmed Al Jabar of Kuwait also having joined this hunting gala. All three rulers with their sons and relatives used to leave for the chase early before sunrise after prayers and a few cups of coffee and date. At noon all used to meet at one spot for the midday meal and prayers and leave immediately to continue their chase after habara. On return at sunset, the king entertained his guests to sumptuous feasts of roast sheep, fowls and heaps of rice and curries, custards, and fruits of all sorts in plenty. The rulers of Bahrain and Kuwait entertained the king of Arabia and his party in their turn. The vast cavalcade of cars, jeeps, petrol and fresh-water tanks and other heavy transport of the kings was an impressive and eye-catching sight when seen on the horizon, raising clouds of

dust and sand for miles around. This year's chase brought in a bag of over 3,000 habara and about 100 heads of deer. The late ruler was over 75 years of age and was for some years on a strict regimen under advice from his doctors. I had joined the party as a medical attendant to his late Highness. I had occasion to see and attend many Bedouins in their nomadic surroundings in the desert. His late Highness died a month after his return from the hunt. He, too, was very generous and charitable towards his subjects and many of the reforms and achievements like the new government hospital and dispensaries, new schools for primary and secondary education for boys and girls, and the public works department and other departments of administration came into existence during his regime and are functioning now efficiently for the good of the people. He twice visited England as the guest of His Britannic Majesty and his appreciation of that country's greatness has to some

is well known, both towards his subjects as well as to foreigners who came to his state. All shaikhs, both rulers and their children and dependants are keen sportsmen and like hunting and chase with falcons on the mainland of Arabia. Each year, just before the beginning of winter, a huge caravan consisting of cars, jeeps fuel and food supplies with parties of hunters leave these shores for the mainland of Arabia. In the early part of this century, Arabs used to hunt on camels but in these days of mechanical transport light cars and jeeps are used in the chase. They start before sunrise and cover hundreds of miles racing after their quarry, habara, a bird belonging to species known as bustards, and return to their camp at about sunset with a full bag. A trained falcon is carried on the forearm by the hunters. When the mask is removed this intelligent hunting bird blinks and looks about on all sides and immediately it sights a stir in the bush at any distance, and flies away after

the quarry. Habara too when roused takes to wing and a chase and fight in the air result in a crash of the two birds some distance away. Hunters rush in their cars to the spot and release the victim from the falcon who is immediately given a piece of heart or liver of his victim to keep him alert and longing to taste this reward again. These falcons are caught in northern Persia and fetch a price from Rs 200 to Rs 1,000 according to their breed and hunting ability which only experts seem to judge or guess for their masters.

The hunt usually lasts about a month and 10 days. Their bag mainly consists of about a thousand or more habara and a few heads of desert deer. 1941 is a memorable year for me. I had the good fortune to go and see this hunt and take part in the chase daily. This year the late ruler, Shaikh Hamad bin Isa Al Khalifa, a keen sportsman, took part in the hunt. Here too joined the late king Ibn Saud of Saudi Arabia with his

is headed by an Arab of a well-known family of Bahrain. He is an able organiser, intelligent and indefatigable in all his endeavours concerning the education of the youth of Bahrain. In this respect much of the credit is deservedly his.

The customs house and port health authorities are very vigilant and efficient in the discharge of their various functions and giving facilities to the public. Most of the employees of this department are Arab young men trained in Bahrain.

Last but not the least important is law and order which exists in present-day Bahrain. A highly trained and efficient police force of Arabs with a staff of young Arab officers gives one a sense of security. Police are seen at all important street crossings or junctions doing point-duty, regulating traffic and also in market places and bazaars where peace and order is maintained by these guardians of law. It is highly gra-

tifying to observe that this highly efficient organisation is headed by a shaikh of the ruling family.

RULERS OF BAHRAIN

When I first arrived at these hospitable shores, the grandfather of the present ruler, HH Shaikh Isa bin Ali Al Khalifa, must have ruled over these islands for over half a century and he was over 80 years of age at that time. All ruling powers were vested in his eldest son and successor, HH the late Shaikh Hamad bin Isa Al Khalifa, the father of our present ruler, HH Shaikh Sir Sulman bin Hamad Al Khalifa.

I had occasions to call on the late HH Shaikh Isa bin Ali Al Khalifa in my professional capacity. Once I attended to some injuries he received from a fall. The last time I was called in was when H.H. died suddenly from heart failure as a result of old age. He was very charitably disposed and his philanthropy

resulted in what we see today, a modern and beautiful Bahrain. Wherever you go you find good metalled roads and broadened streets in the bazaars, imposing structures housing various departments of the present Government of Bahrain; the beautiful Gateway of Bahrain, where the Ruler receives on week days, prayers and petitions from his subjects; the Law Courts where justice is sought and given as in every other civilised country. The expanding education department having elementary, primary and secondary schools under its control, has planned and constructed in recent years beautiful and modern buildings at huge expense to accommodate and carry forward their educational programme in higher subjects and technology for boys and girls of these islands who are on the march towards modernity which is seen today in the Arab world. In the early 1920s there were only two schools for boys only, one in Muharraq and the other in Manama, with a total

strength of about 600 students. Now there are schools for primary education in each main village and for higher education two secondary schools, one of each for boys and girls, in two separate buildings. The present strength of attendance at schools total over 8,000 who are looked after by a strong contingent of highly trained and able teachers from Egypt, Syria and Lebanon. Well trained carpenters and mechanics are coming out from the technical school yearly, and employed by Bapco, the oil company, and other firms doing construction works. Intelligent boys are given scholarships for higher studies abroad, in Iraq, Lebanon and Egypt. Some of the well-to-do boys are sent to England by their rich parents who show a keen interest in the education of their boys these days. All in all we see Bahrain and her people are on the onward march towards progress and modernisation.

The education department

The hospitals are staffed by highly trained British and Indian sisters and nurses. Arab boys and girls who show an aptitude are given all encouragement and apprenticed as nurses and dressers. The standard of surgery has been raised considerably by the appointment three years ago of a highly qualified surgeon, Mr Wilkins, FRCS.

Isolation hospitals are housed in two separate buildings to treat cases that are required to be isolated from the public. Here venereal, dysentery and tuberculosis wards accommodate these classes of cases. These are discharged only when they are free from infection. Here I think it is proper to observe that venereal disease, once a problem, is a problem no more, thanks to the advent of the antibiotics and sulpha drugs. On the other hand tuberculosis is on the increase and here too, thanks to the birth of a chest clinic and public awareness of the benefits of early diagnosis and treatment of this disease

either here or abroad, it is being brought under control.

A mental asylum has been in existence to detain mental cases for over 20 years. Here there were no nursing facilities in olden days but now a nursing staff is maintained by the Government Hospital and regular food and treatment is provided to the inmates.

BAHRAIN THEN AND NOW

During the early years of these memoirs I recollect there were no good roads for motor traffic, even though a handful of such modern vehicles of conveyance were in existence. There was no efficient municipal administration to look after the construction and repair of such roads or streets in the bazaar. These amenities of public importance came into being when HH Shaikh Hamad bin Isa and HH Shaikh Salman bin Hamad decided to modernise Bahrain in over a period of 30 years. It has

ciation is ever on the increase and daily hundreds of patients queue up for treatment at this noble institution.

The Bahrain Government Hospital came into being early in 1938 and by careful planning by authorities has ever been on a progressive basis. Each year a new unit or building has materialised to house yet another ambitious scheme for the welfare of the public. In the beginning, ward accommodation was very limited but this is increased each year as people have gradually come to realise that this hospital is their own hospital where every facility and treatment is given to them in full measure. But public confidence in government institutions and undertakings of this nature is ever on the increase as is evidenced by public zeal.

The Government is cooperating with the public while planning for the good of the people of these islands. Extensive government hospital buildings today cover an area of about four acres of

grounds, situated in the north-western region of the sea-front of Manama, the capital of Bahrain. There are two separate blocks of two-storey buildings for both male and female indoor patients. Besides these a new large building houses private wards for those who seek this special amenity. Medical, surgical and eye wards to accommodate these classes of patients are available in both male and female hospitals. The present capacity of these wards is quite inadequate and I believe a new and extensive building is near completion to meet the further demands of the public. A large and first class X-ray unit is working to full capacity daily. A modern laboratory for all kinds of tests is functioning with a full complement of technicians. Even though in the beginning, there was only one English doctor for each section with only a couple of Indian assistants, now there are two English doctors for each section and about a dozen Indian assistants with high academic qualifications and experience.

clerks and vaccinators under the able control of an English doctor with two Indian assistants, one to look after the quarantine medical establishment and the other in charge of school clinics at various schools of the ever expanding department of education of the Government of Bahrain.

EARLY MEDICAL AND PUBLIC HEALTH INSTITUTIONS IN BAHRAIN AND THEIR PROGRESS

In 1925 there were only two medical establishments in Manama, the principal island of the group:

1. The Victoria Memorial Hospital in charge of the Agency surgeon mainly for the benefit of the employees of the Agency but predominantly attended by the general public.
2. The American Mission Hospital was established before the beginning of the pre-

sent century. This had accommodation for indoor patients and surgical facilities for treatment under highly able and popular surgeons who worked for the mission. Many an outstanding surgeon has worked for the welfare and relief of those in distress in these parts and departed from these shores with full honours and appreciation; but one name stands out preeminently, that of Dr Paul Harrison, who, I believe, spent more than half a century among the Arabs of Arabia and peoples of various shaikhdoms extending from Muscat to Kuwait on the Arabian coast of the Gulf. Many a brilliant surgical feat has been carried out successfully even in adverse situations. The memory of his name and his deeds will ever remain green with the masses here. The American Mission Hospital is now fully extended and housed in separate blocks for male and female patients with all modern and upto-date medical and surgical equipment, X-ray unit and a laboratory. Their popularity and public appre-